الفكر التربوي عند الكواكبي

أ.م.د. سامي شهيد مشكور م. مهند علي نعمه

جامعة الكوفة/ كلية الآداب

The Educational Thinking of Al-Kawakibi

Asst. Prof. Dr. Sami Shaheed Mashkoor Lect. Muhannad Ali Ni'ma

Al-Kufa University/ College of Arts

Abstract

Al-Kawakibi is one of the pioneers in Education. He performed teaching Arabic language. He also put some foundations in the field of education and he called for fighting illiteracy and he asked for teaching women. He was one of the Arabic philosophers who fought illiteracy in the Islamic world.

مقدمة

يعتبر الكواكبي رائداً من رواد التعليم، حيث دعا إلى إصلاح تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها والجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس، وقدم الكثير من الأسس لاعتمادها في مجال التربية والتعليم، ودعا إلى فتح باب محو الأمية، وبين دور الدارسين في إصلاح المجتمع كما ركز على أهمية تعليم المرأة كي تجيد رسالتها في الحياة.

وكان واحداً من المفكرين العرب الذين كشفوا عن أسباب التخلف الذي خيم على العالم الإسلامي، وقارن ذلك بحالة التقدم التي وصل إليها الأوربيون في العصر الحديث.

تعدّ السياسة وشؤونها أبرز المجالات التي استقطبت اهتمام الكواكبي وذلك بحكم علاقات، واتجاهات، وممارسة، لازمت الإنسان، فرداً وعائلة وجماعة وأمة، وهي حافز قوي دفع الكثير من أعلام الإصلاح بهذا الاتجاه لإنهاض البلاد.

إن أفكار الكواكبي ومساعديه الاجتماعية تتلخص في مكافحة فكرة الاستبداد، والاستناد إلى الدين والعلم والأخلاق، والتأكيد على منزلة العقل، والدعوة إلى حكومة دستورية تحترم حرية الفرد، والى ربط العلم بالعمل، واهتمامه بالقضايا الاجتماعية يأتي في سياق اهتمامه بالقضايا السياسية والاقتصادية والدينية.

المبحث الأول

الاستبداد وعلاقته بالتربية عند الكواكبي(*)

الاستبداد في اللغة: ((يعني الانفراد به مستقلاً واستبد الأمر بفلان غلبه فلم يقدر على أن يضبطه، والمستبد من يأخذ في شأن ولا يتركه إلا بعد إتمامه))[1]. أما في الاصطلاح: فهو النظام السياسي الذي تكون فيه القوانين تابعة لإرادة رجل واحد، فإذا تولى الحكم بنفسه، ولم يكن عليه رقيب سمي حاكماً بأمره بخلاف الحكم الجماعي الذي تكون فيه القوانين

(*) ولد عبد الرحمن الكواكبي عام 1854م في مدينة حلب، في بيت من بيوت العلم المشهورة، وكان والده السيد أحمد بهاء عالماً تقياً موصوفاً بالنجدة والورع، شغل عضوية مجلس إدارة الولاية وأمانة الفتوى، ما والدته فهي السيدة عفيفة بنت مسعود النقيب وكان أبوها مفتي أنطاكية. ولم يكد يبلغ السادسة من عمره حتى فقد بموت والدته أغزر فيض للحنان، فعهد به والده إلى خالته السيدة صفية في مدينة أنطاكية، وكانت من فاضلات النساء على قسط من الثقافة والفطنة، فأنزلته من نفسها مكان الولد، ونشأ تحت جناح رحمتها أقوى ما يكون عوداً واشد ما يكون ذكاء. ولما بلغ سن الشباب كان قد أتقن العربية والتركية والفارسية، وأصاب حظاً من العلوم الدينية.ولكن ثقافته الحقيقية استمدها من مطالعته الشخصية للكتب والمجلات العلمية والاجتماعية والأبحاث الكثيرة المترجمة عن الأقلام الغربية. عمل في الصحافة لنشر أفكاره على صفحاتها وكانت تصدر في مدينة حلب جريدة باسم (فرات) تحرر باللغتين العربية والتركية، ثم أنشأ الكواكبي صحيفة باسم (الشهباء) أول جريدة صدرت في حلب باللغة العربية وحدها ووقف قلم الكواكبي على كل قضية وطنية ودعوة إصلاحية ينتقد الحكام، ويهاجم الولاة، والحق أن تلك الصحيفة قد أدخلت نوراً جديداً على حياة الناس، وخوفاً لاهباً على قلوب الحكام إلا أن والي حلب أمر بإغلاق الصحيفة، وبعدها بادر إلى إصدار جريدة باللغتين العربية والتركية باسم (الاعتدال)، احتل عدداً من المناصب الإدارية والاقتصادية المهمة في الولاية، واحترف التجارة فترة من الزمن، وكان مرحباً للمحاماة في القانون، دخل السجن متهماً بمحاولة اغتيال الوالي التركي ثم برأته محكمة (بيروت)، هاجر سراً إلى مصر سنة 1899م، أهم مؤلفاته (أم القرى طبائع الاستبداد) نشرها في مصر باسم مستعار (الرحالة ك) قام برحلة إلى الشرق، توفي عام 1902 م دفن في مقابر باب الوزير وكتب على قبره (الشهيد)، للمزيد ينظر: الحلبي، محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط 2، دار القلم العربي، دمشق، 1988م، ص 473 – 476، وكذلك ينظر: الكواكبي، سعد زغلول، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص15-21.

(1) معلوف، لويس: المنجد في اللغة، ط 35، انتشارات إسلام، طهران، 1965م، ص 28.

تابعة لإرادة جماعة من الناس، فإذا كانت هذه الجماعة مؤلفة من عدد محدد من الأفراد سمي نظام الحكم الأوليغاركي، وإذا كانت مؤلفة من مجالس الشعب، أو من ممثليه المنتخبين انتخاباً حراً سمي نظام الحكم بالديمقراطي[1]. والمستبد كلمة مشتقة من الكلمة ديسسبوتيس التي تعني رب الأسرة، أو سيد المنزل، أو السيد على عبيده، ثم خرجت من هذا النطاق الأسري، إلى عالم السياسة لكي تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق[2]. تتبين آثار الاستبداد في السيطرة والتسلط على إرادة المجتمع أفراداً أو جماعات، ولا يسمح لهم بممارسة حرية التعليم بالمفاهيم الجوهرية لمعناها، إلا بقدر ما تخدم حكوماتهم وسلطاتهم، فيذكر الكواكبي في إثر ممارسة الاستبداد وأفعاله أن ((المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم بهواه لا بشريعتهم ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته))[3]. والاستبداد عند الكواكبي هو: ((صفة للحكومة المطلقة العنان، فعلاً أو حكماً التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين))[4]. هذه هي صفة الحكومة المستبدة بحسب ما رآها الكواكبي منذ أكثر من قرن، بل أنه زاد على ما رآه تفصيلاً بأنه قد يكون هناك قانون مقيد للحكومة لكنها، أي الحكومة المستبدة تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى وكيف تشاء. ويرى الكواكبي أن أعلى مراتب الاستبداد تلك ((التي يتعوذ بها الشيطان، هي حكومة الفرد المطلق الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية))[5]. واكتوى الكواكبي بنار الاستبداد وشعر بألمه، فوضع له مراتب، وكان أشدها التوريث المتذرع بالدين. ويبين أن دعائم الحكم المستبد جهل الأمة وجند الحاكم وجيشه[6]. ولكن الكواكبي يستثني الحكومات البدوية التي يعيشها أبنائها بحرية والانتقال من مكان إلى آخر، تكاد لا تعرف الاستبداد إلا في فترات قليلة وفي هذا يقول الكواكبي: ((أما الحكومات البدوية التي تتألف رعيتها كلها أو أكثر من عشائر يقطنون البادية ويسهل عليهم الرحيل والتفرق متى مست حكومتهم حريتهم الشخصية وسامتهم ضيما ولم يقووا على الأستنصاف، فهذه الحكومات قلما اندفعت إلى الاستبداد))[7]. ويدين الكواكبي المجتمع البشري بصورة عامة بخضوعه إلى الاستبداد وعَدّ الخضوع أمراً غير طبيعي بسبب الجهل وفقدان ألاهتمام بالتربية والتعليم واستبداد النفس على العقل وفي هذا يقول: ((أن الله خلق الإنسان حراً قائده العقل، وأبى إلا أن يكون عبداً قائده الجهل، خلقه وسخر له أماً وأباً يقومان بأوده إلى أن يبلغ أشده، ثم جعل له الأرض أما والعمل أبا، فكفر وما رضى إلا أن تكون حكومته أمه وحاكمه أباه، وما استطاب إلا الارتباط في ارض محدودة سماها الوطن، وتشابك بالناس ما استطاع اشتباك تظالم لا اشتباك تعاون))[8]. نلاحظ من كلام الكواكبي أن لديه نظرة تشاؤم، ومحاسبة للمجتمع البشري لاختيار المواطنين الخروج من حالة الطبيعية، وهي الحالة فوضى وحرب دائمة إلى حالة استقرار وتمدن في مجتمعات تحكمها سلطة، وهي نتيجة تعاقد بين المواطنين والحاكم بتنازل الأفراد عن جزء من حقوقهم الطبيعية مقابل التمتع بمميزات المجتمع السياسي فالفرد قد اتفق بمحض إرادته في سبيل الحصول على المنافع التي تنجم عن التعاون الاجتماعي مع الآخرين، ولعل الظروف النفسية للكواكبي ومعايشته لواقع الدولة العثمانية، وما أصابها من انحطاط وتدهور دفعه إلى ذلك الاعتقاد. ولقد أدرك الكواكبي الدور الذي تمثله الدولة، وعليها أن تؤديه في تنظيم المجتمع، بل عدّ لاحقاً أن كل ما يجري بحثه في هذا الإطار أو ذلك لا يتعدى البحث في مسألة الدولة. وأن المسألة في أساسها مسألة سياسية تتعلق بشكل تنظيم المجتمع. فهي ليست حكماً بل إدارة شؤون الحياة حتى في التفاصيل. وهذا يقودنا لملاحظات منها تأكيد دور الحكومة في التربية والتعليم، وهو ليس شيئاً جديداً. لقد أكد الكواكبي هذا الدور في ميادين مختلفة، الحكومة ترعى الأخلاق، والحكومة ترعى الاقتصاد وتؤمن نمط الحياة في

(1) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج 1،، ط1، منشورات ذوي القربى، سليمان نزاده، قم، 1385هـ، ص 490–491.
(2) ينظر: أمام، عبد الفتاح أمام: الطاغية دراسة فلسفية لصور الاستبداد السياسي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1994 م، ص44.
(3) كريم، طالب محمد: جدل الاستقلال الفلسفي في الفكر العربي المعاصر، ط 1، مكتبة عدنان، بغداد، 2011 م، ص 124.
(4) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط 2، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 2009م، ص23–24.
(5) المصدر نفسه، ص 24.
(6) ينظر: برح، محمد عبد الرحمن: عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بلا، ص140.
(7) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ط1، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 2007م، ص191–192.
(8) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص191 – 192.

الاشتراك العمومي. وتؤدي في توجيه الدين دورها وتمنع الشعوذة وتوقف المتاجرة به.[1] ومن الناحية النظرية الصرفة لا يخرج هذا الدور عن إطار التفكير السياسي الممتد من جمهورية أفلاطون حيث تتولى الحكومة كل التربية إلى مدينة الفارابي وسياساته المدنية حيث دور الحكومة الذي لا يقل مجاله عما يفترض الكواكبي، مروراً بتراث غزير يحسب للحكومة، بصفتها الهيأة المسؤولة عن توجيه الأمور وتصريفها فدورها يعد الأول في هذا التوجيه.[2] وقد أوكل الكواكبي مهمة التربية بالسلطة، فالحكومات المنتظمة تعنى بتربية الأمة من وقت تكوين الجنين، بل قبله، بسن قوانين للزواج الصالح، ثم العناية بالقابلات والأطباء، ثم فتح بيوت اللقطاء، ثم إنشاء المكاتب والمدارس للتعليم الابتدائي الجبري إلى أعلى مراتب، ثم تسهيل الاجتماعات، والإشراف على المسارح، ثم تشجيع النوادي وإنشاء المكتبات، والإعلان عن النوابغ بإقامة النصب ونحوها لهم، ثم تنمية المواهب القوية بشتى أنواعها[3]. وفي اهتمام الدولة بالمواطنين وحقوقهم والمدارس والشؤون العامة يقول الكواكبي: ((أمين على السلامة في جسمه وحياته بحراسة الحكومة التي لا تغفل عن محافظته بكل قوتها في حضره وسفره، أمين على الملذات الجسمية والفكرية باعتناء الحكومة في الشؤون العامة، المتعلقة بالترويضات الجسمية والنظرية والعقلية حتى ان الطرقات والتزيينات البلدية والمتنزهات، والمنتديات، والمدارس، والمجامع ونحو ذلك، قد وجدت كلها لأجل ملذاته))[4]. والمستبد يحارب التربية والحرية والعدل؛ لأنهما أصل حياة الشعوب ومنطلقها، والناس بسطاء غافلون لا يدركون من أمرهم شيئاً، أما العلماء فهم الرجال الناصحون لهم فإذا نبهوهم ثاروا على واقعهم. ويتحدث الكواكبي عن الحرية حيث يقول: ((وعندي أن البلية فقدنا الحرية، وما أدرانا ما الحرية، هي ما حرمنا معناه حتى نسيناه وحرم علينا لفظه حتى أستوحشناه))[5]. ويضع الكواكبي في فكرة الحرية المعنى السياسي والاجتماعي في كل واحد منهما، ومن ثم تضمينه إياها أبعاداً اجتماعية وثقافية وتربوية، فهو لم يتحدث عن حرية الأمة الإسلامية في العيش المستقل، بل ((وما يسميه فروعها في تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبارهم وكلاء الأمة، وحرية التعليم والخطابة والمطبوعات والمباحث العلمية والأمن على الدين والأرواح والشرف، والأمن على العلم واستثماره))[6].

وقد وضع الكواكبي يده على أهم غاية تسعى إليها السلطة، وهي أن يبقى الشعب جاهلاً بلا تعلم، فيبقى بالتالي خاضعاً لأمرائه الجاهلين الذين يتشدقون بالإصلاح السياسي، ويبطنون الإصرار والعناد على ما هم عليه من فساد دينهم ودنياهم، فالأمراء هم لفيف منا، وهم أمثالنا من كل وجه، وقد قيل كما تكونون يولى عليكم فلو لم نكن مرضى لم يكن أمراؤنا مرضى[7]. ونلاحظ أننا أمام باحث موضوعي واسع الأفق، إذ لا يرى العيب في الأمراء وإنما يراه أيضاً في أبناء الشعب، الذين يغرقون في عالم الجهل، إلى درجة ألفوا معها الذل، حتى أنهم لشدة جهلهم يقلبون الحقائق، فيرون في طالبي الإصلاح مارقين عن الدين لمجرد أن الأمير مسلم، على الرغم من أنه يخرب البلاد بظلمه[8].

إذاً فإن الاستبداد في أوضح صورة هو استبداد سياسي لا يولي أي اهتمام بالتربية، حيث تدور المعارك بين الحاكمين والمحكومين، بين مواطنين يملكون زمام السلطة وأجهزة الإكراه الاجتماعي، ومواطنين يخضعون لتلك السلطة ويتحركون كدمى متأثرين بوخز أجهزتها من دون أن يكون في إمكانهم مقاومتها، فالمستبد يوحد المجتمع في شخصه بحيث يبدو قراره شعبياً، وأنه يملك المجتمع وبالتالي يملك قراراته أيضاً، وكان ملك فرنسا (لويس الرابع عشر) يقول: (الدولة هي أنا)، وهكذا تعتقد الحكومة المستبدة بأن وجودها ضروري ولا بديل عنه[9]. ويقرر الكواكبي أن موطن الاستبداد، الأمم

(1) ينظر: كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد، دراسة تحليلية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 109.
(2) المصدر نفسه، ص 109.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ص 92.
(4) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 288.
(5) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ط 2، دار الرائد العربي، بيروت، 1982 م، ص 31–32.
(6) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 32.
(7) ينظر: حمود، ماجدة: عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م، ص26.
(8) ينظر: المصدر نفسه، ص 26.
(9) ينظر: طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1992م، ص241.

الجاهلة الغافلة عما يحاك لها في الخفاء من قبل الحكام الظالمين ويحمل على الجندية حملة شعواء ويراها مضيعة للجهد البشري وحرفة مخربة، فقال: ((أن جهالة الأمة والجندية المنظمة هما أكبر مصائب الأمم وأهم معايب الإنسانية))[1].

إن الاستبداد سبب في جهلنا ونتيجة له في آن واحد لعدم اهتمامه بالتربية، فهو يسهم في محاربة بعض العلوم التي تحفز الناس للوقوف في وجهه، ويسعى إلى توظيف بعضها الآخر كي يستمر ويسود ويبرز نفسه، وهو نتيجة أن الناس لا تعي حقوقها ودورها، أما الجندية المنظمة، فهي تجنيد الأفراد وتطويعهم إلى الجيش الخاضع للحاكم المستبد، الذي ينفذ أوامره، مما يشيع الرعب في نفوس الرعية، والباحث لا يتفق مع الكواكبي، فيما ذكره عن الجندية في كلامه المتقدم، لان امتلاك دولة ما لجيش يحميها أمر طبيعي يفرضه الواقع. إن ثورة الكواكبي في رفضه الاستبداد متعقلة وهادئة، وهذا يتناسب وواقع عصره، فهو يؤكد أهمية التربية والتطور قبل القيام بأية ثورة؛ لأن فساد السياسية من فساد التربية، لذلك عَدّ إصلاح التربية طريقاً موصلة إلى إصلاح الوضع السياسي، ورأى أن تكوين الرأي العام وتقدمه هما أساس تغيير القانون ومنقذيه، بل انه طالب بالتغيير التدريجي المؤسس على قاعدة صلبة تستخدم العقل في طريقها إلى الثورة، فيعم البحث وتتسع دائرة المتعاملين بالعلم السياسي[2].

ويعتقد الكواكبي أن رئيس وزراء المستبد ورئيس قواده أو علماء الدين هم أقدر الناس على الإيقاع به[3]. والكواكبي لا يؤيد أي تصرف عنيف اتجاه المستبد، خشية من الفتن التي تؤدي الى تقاتل المسلمين فيما بينهم، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على عمق تفكيره وبعد نظره واعتداله، وأن المنطق يفرض ارتباط الظروف الموضوعية المتمثلة بالإعداد الشخصي للمصلح، وإعداد الرأي العام بالتحميس والتعليم، إلا أن الكواكبي ربط الظروف الموضوعية بعوامل خارجية طارئة قد تحدث أو لا، زيادة على الفترة الطويلة في العمل والتنسيق لقلب الأوضاع. وأهتم الكواكبي بشكل الحكومة التي سوف يستبدل بها الاستبداد، ولكن من غير ان يحدد هذا الشكل الذي يراه مناسباً، وان هدفه هو إزاحة المستبد عن السلطة، وأن الإطاحة بالمستبد لا يكفي للتخلص من الاستبداد، فقد يسقط مستبد ويأتي بعده مستبد أكثر من الأول طغياناً وتجبراً، وبذلك نستبدل مرضاً بمرض مزمن. فالأستبداد آفة سياسية لا تتفشى إلا في محيط الجهل والتخلف، وكلاهما يتغذى من الفقر وقلة الوعيين السياسي والاجتماعي[4]. إن الأصلاح الذي نادى به وانطلق من خلاله قبل أي شيء إصلاح تربوي وسياسي فإذا تم، فإن الدين يتكفل بتحقيق الجوانب المختلفة للفرد والمجتمع بحسب رأي الكواكبي.

المبحث الثاني

مفهوم التربية وأهميته عند الكواكبي

أن ميدان التربية، بحسب ما يراه الكواكبي أهم الميادين التي يصوب إليها المستبد سهام ظلمه واستبداده، ولذلك أعطاها الكواكبي قسطاً من الاهتمام، فنادى بالتربية الهادفة، التي يضمن صاحبها ثماره الناضجة، تلك الثمار، التي لابد وأن تفك العقول الأسيرة، وتحرّر الإنسان من ربقة العبودية[5]. ويعرف الكواكبي التربية بأنها((ملكة تحصيل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس، فأهم أصولها وجود المربين، واهم فروعها وجود الدين))[6]. وتفيد كلمة التربية عند الكواكبي مقصدين، أحدهما التربية العامة وتشمل كبار الأمة وصغارها، وهي التي تتكفل بتهذيب الصفات القومية وتوفير عُدَّة الأمة

(1) قلعجي، قدري: عبد الرحمن الكواكبي، ط 1، دار الشرق الجديد، بيروت، 1963 م، ص 52.
(2) ينظر: طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص 496.
(3) ينظر: الدهان، سامي: عبد الرحمن الكواكبي، دار المعارف، مصر، بلا، ص 52.
(4) ينظر: بن قينة، عمر: الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2000م، ص73.
(5) ينظر: عمارة، محمد: مسلمون ثوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1974م ص 217.
(6) الكواكبي، عبد الرحمن: الرحالة كاف طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط2، دراسة وتحقيق محمد جمال طحان، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2007م، ص 154.

من الأخلاق، والعادات جيلاً بعد جيل. والآخر تربية الناشئين في المدارس ومعاهد التعليم وتزويدهم بما ينفعهم وينفع أمتهم في أعمالهم الخاصة والمشتركة[1].

والتربية قبل كل شيء ضرورية لابد منها، وأنها حاجة كحاجة الغصن للعناية والشجرة للتعهد لتنمو مستقيمة قوية، من هذا المنظار يعدّ البيت المدرسة الأولى في التربية، ويتعهد الأهل الطفل القابل للفساد أو للإصلاح بفطرته وتبعاً لميولهم وأهوائهم يصنعون منه جسماً وعقلاً يميل للفساد أو للخير بحسب ميولهم لأبنائهم في السنوات الأولى بصورة خاصة، لأن الطفل متى شب وقسا عوده استقر على محصول السنوات الأولى[2]. فالخير والشر موجودان في فطرة الإنسان والتربية هي الفيصل في ذلك وفي هذا يقول الكواكبي: ((خلق الله في الإنسان استعداداً للصلاح واستعداداً للفساد، فأبواه يصلحانه، وأبواه يفسدانه، أي أن التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً أن خيراً فخير وأن شراً فشر))[3].

يقسم الكواكبي التربية على مراحل هي:

تربية الجسم وتدوم سنتين وتقوم بها الأم وحدها، وتربية النفس وتدوم إلى سن السابعة ويقوم بها الأبوان خاصة والعائلة عموماً، ثم تربية العقل وتستمر حتى البلوغ، وهي وظيفة المعلمين والمدارس، وتربية القدوة بالأقربين والخلطاء وتدوم حتى الزواج وهي موكولة إلى الصدفة، ثم التربية المقارنة وهي مرتبطة بالزوجين وتنتهي بالموت[4]. ويتضح من تقسيم الكواكبي لمراحل التربية عن عمق ثقافته التربوية، وإطلاعه على الفكر التربوي الحديث؛ لأن مثل هذه التقسيمات نجدها عند الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو)[*]، وان اختلفت تقسيماته عن تقسيمات الكواكبي، ويرى الباحث أن هنالك أشكالاً على تقسيمات التربية عند الكواكبي حيث أن التربية عملية متكاملة، فلا يمكن أن تحدد في تقسيمه، أن الفترة من الولادة إلى سنتين، هي تربية جسمية؛ لأن هذا يعني أن المراحل التالية لا تتم فيها تربية جسمية، وقد تتضمن هذه المرحلة نمواً عقلياً، كاللغة والانفعال، ونمو اجتماعياً، ولا يمكن تحديد المرحلة الثانية بالتربية النفسية حيث أن عملية التربية تسير مع متطلبات النمو واحتياجاته، وتعدد جوانب الشخصية على وفق لمتطلبات المرحلة العمرية. والتربية عند الكواكبي لا تحدد في مؤسسة تربوية بعد البلوغ بل تشاركها في ذلك مؤسسات أخرى وفي ذلك يقول: ((لابد أن تصحب التربية من بعد البلوغ وتربية الظروف المحيطة، وتربية الهيئة الاجتماعية وتربية القانون، وتربية الإنسان نفسه))[5].

يتبين من كلام الكواكبي أن هنالك عوامل لا تقل أهمية عن التربية، وهي الظروف المحيطة، والقانون، ولقد ربط الكواكبي وبصورة حقيقية رائعة، بأن التربية هي حاصل كل تلك العوامل، وان الإنسان ابن بيئته ومحيطه الذي يعيش فيه، فلا يمكن إسناد الدور إلى المنزل أو المدرسة، وإغفال دور المجتمع. ولاشك أن تقييد التربية بالمجتمع شيء أساسي وضرورة، ولكن الكواكبي قد ربط ذلك كله بأوضاع سياسية اجتماعية منتظمة، فالتربية مع استمرار الاستبداد عملية عقيمة لا تؤدي نتائجها[6]. فالاستبداد وباء مهمته قتل الحس بالكرامة عند المتمجدين، ودفع من سواهم من أبناء المجتمع إلى الخمول، أو اليأس، ولذلك ترى من يعيش في ظل حكم مستبد غير آبه بما يحصل حوله، ولا تعنيه حياته بشيء، بخلاف الإنسان المتحرر الذي يمتاز بالجد والعزيمة، فنظرة بسيطة على واقع المجتمعات تجعلنا برأي الكواكبي نرى أن الإنسان الذي يعيش((في ظل العدالة والحرية نشيطاً على العمل بياض نهاره، أما أسير الاستبداد فيعيش خاملاً خامداً ضائع القصد، حائراً لا يدري كيف يميت ساعاته وأوقاته ويدرج أيامه وأعوامه، وكأنه حريص على بلغ اجله ليستر تحت

(1) ينظر: العقاد، عباس محمود: عبد الرحمن الكواكبي الرحالة (ك)، ط1، منشورات المكتبة العصرية، 1983م، ص 146.
(2) ينظر: كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد دراسة تحليلية، ص 106– 107.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 256.
(4) ينظر: المسعودي، حمادي: البعد الاجتماعي في تفكير الكواكبي النهضوي ومجلة آداب القيروان، ألفا للنشر، تونس، 1997م، ص77-78.
(*) يقسم (روسو) التربية على مراحل هي مرحلة الطفولة الأولى، التي تمتد من الولادة إلى السنة الخامسة، ويجب الاهتمام في نظره بالتربية الجسمية والتربية النفسية، ثم المرحلة الثانية، التي تمتد من الخامسة إلى الثانية عشرة وهي بدء الاهتمام بصورة أوسع بتكوين الصفات الخلقية، حتى إذا ما جاءت المرحلة الثالثة التي تمتد من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة بدأت التربية العقلية أما المرحلة الأخيرة وهي التي تمتد من الخامسة عشرة إلى العشرين، فيبدأ الاهتمام بتربية العاطفة والضمير الديني والذوق الاجتماعي عنده. للمزيد ينظر: الشيباني، عمر محمد التومي، تطور النظريات والأفكار التربوية، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص177–178.
(5) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 258.
(6) ينظر: كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد دراسة تحليلية، ص 108.

التراب))[1]. وفي زمن الاستبداد تتغير طباع الناس وفي هذا يقول الكواكبي: ((الاستبداد يضطر الناس إلى استباحة الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل وإلى مراغمة الحس وإماتة النفس ونبذ الجد وترك العمل))[2].

ويبين الكواكبي في كلامه أن الأمة التي تكون خاضعة للسلطة الاستبدادية تحمل صفات مذمومة مثل الكذب، والنفاق وغيرها، لا لأنها تريد ذلك، بل السلطة، وان هذه الصفات أو الخصال تتوافق مع طباع السلطة ونفوذها، بل تساعد في استمرار ذلك النفوذ وتعزيزه، وبذلك تنحرف التربية عن دورها في غرس الخلق القويم، وبناء إنسان فاعل في الحياة. ويرى الكواكبي أن على الدولة أن تفرض نوعاً من الرقابة والتوجيه لأبناء الشعب بحيث لا تكون مباشرة حتى لا تتدخل الحكومة بحرية الأشخاص فتحدها وتقلل من فرض الاستقلال الشخصي وفرص بناء الفرد لذاته بناءً ذاتياً حراً وفي هذا يقول: ((على الحكومة إن تلاحظ كل شؤون المرء ولكن من بعيد كي لا تخل بحريته واستقلاله الشخصي فلا تقرب منه إلا إذا جنى جرماً لتعاقبه، أو مات لتواريه))[3].

ويؤكد الكواكبي أن الفقراء أبعد الناس عن طلب العلم والمعرفة، بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية الصعبة، التي يعيشها أبناء المجتمع في زمان الاستبداد وفي هذا يقول: ((للسعة والفقر أيضا دخل كبير في تسهيل التربية، وأين الإسراء من السعة؟! كما أن لانتظام المعيشة، ولو مع الفقر، علاقة قوية في التربية، ومعيشة الإسراء، أغنياء كانوا او معدمين، كلها خلل في خلل، وضيق في ضيق))[4].

واضح من نص الكواكبي أن حظ الفقير في التربية قليل إلى حد الانعدام، فالفقير تراه مشغولاً في أغلب أوقاته لتوفير لقمة العيش له ولأسرته، أما الأغنياء فهم يعانون أيضاً لكن معاناتهم وقتية ونفسية، بخلاف معاناة الفقير فإنها يومية، وهنالك تشابه بين فكرتي الكواكبي والطهطاوي ألا أنهما اختلفا في المراحل فقد قصر الطهطاوي التعليم العالي على الأغنياء فقط. ويؤكد الكواكبي أن الاستبداد يقضي على العملية التربوية، وفي هذا يقول: ((التربية علم وعمل. وليس من شأن الأمم المملوكة شؤونها، أن يوجد فيها من يعلم التربية ولا من يعلمها، حتى أن الباحث لا يرى عند الأمراء علماً في التربية مدفوناً في الكتب فضلاً عن الأذهان، أما العمل فكيف يتصور وجوده بلا سبق عزم وهو بلا سبق يقين، وهو بلا سبق علم، بناء عليه ما ابعد الناس المغصوبة أرادتهم، المغلولة أيديهم، عن توجيه الفكر إلى مقصد مفيد كالتربية))[5]. يستنتج من حديث الكواكبي في أعلاه بأنه لا يمكن أن ينشأ توافق بين التربية والاستبداد فكل ما تبنيه التربية على الرغم من ضعفها يهدمه الاستبداد ويقضي عليها بقوته، ولاسيما في الشرق الذي يعاني الظلم والقهر والحرمان، فالأمل الوحيد أن يزول وبذلك تتنور العقول، وبعد ذلك يمكن السعي من أجل إرساء قواعد للتربية على وفق أسس سليمة. والتربية الصحيحة لن تجد لها أرضاً لتنمو فيها في ظل الاستبداد، وفي هذا يقول الكواكبي: ((التربية غير مقصودة ولا مقدورة في ظلال الاستبداد، إلا ما يكون بالتخويف من القوة القاهرة، وهذا النوع يستلزم انخلاع القلوب لا تزكية النفوس، وقد اجمع علماء الاجتماع والأخلاق والتربية على أن الإقناع خير من الترغيب فضلاً عن الترهيب، وان التعليم مع الحرية بين المعلم والمتعلم، أفضل من التعليم مع الوقار، وان التعليم عن رغبة في التكمل أرسخ من العلم الحاصل طمعاً في المكافأة، أو غيره من الإقران))[6].

إن وجهة الكواكبي في كلامه أعلاه، تلتقي مع أهم الإنجازات الحديثة للتربية، التي تجعل من الحرية والترغيب والإقناع أساس تلقي المعرفة، وترفض أي أسلوب في التعليم يعتمد على الترهيب والضرب، والإقناع يقوم على الحرية بين المعلم والمتعلم فتنمو الرغبة عند المتعلم لطلب العلم، الذي يجب أن يكون خالصاً مجرداً من كل طمع في منفعة مادية. إذاً يريد الكواكبي أعادة بناء الإنسان، الذي شوهه الاستبداد، على أسس قويمة، لهذا يدله على الطريق الصحيح الذي يحقق له

(1) السحمراني، اسعد: الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1984م، ص69–70.
(2) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ص 95.
(3) كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد دراسة تحليلية، ص 110.
(4) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص263.
(5) الخليلي، احمد بن عدي: الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2013م، ص388.
(6) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 266 – 267.

إنسانيته المفقودة، فيشجعه على طلب العلم من اجل رفعته لا من أجل إحساس بالتفوق على الآخرين[1]. فالتربية التي أرادها الكواكبي لأبناء أمته تربية منتظمة وفي هذا يقول: ((والتربية المطلوبة هي التربية المرتبة على إعداد العقل للتمييز، ثم على حسن التفهم والإقناع، ثم على تقوية الهمة والعزيمة، ثم على التمرين والتعويد، ثم على حسن القدوة والمثال، ثم على المواظبة والإتقان، ثم على التوسط والاعتدال، وان تكون تربية العقل مصحوبة بتربية الجسم، لأنهما متصاحبان صحة واعتلالاً))[2]. ومن آراء الكواكبي في التربية أن يكون للطالب أكثر من مدرس ومصدر وقد أعطى مثالاً على ذلك، أن المسلم الذي يريد تطبيق الشريعة لا عليه من ذنب إذا أخذ من جميع المجتهدين ليطبقها بأبسط صورة وفي هذا يقول: ((ما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلد أن يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد، فإذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي، غسلا بدون ذلك كما علمه عالم حنفي، وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات الرأس كما علمه عالم شافعي، وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي، صلاة الصبح طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي، ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري))[3].

وواضح من كلام الكواكبي في أعلاه بأنه يطالب بعدم التعصب بمذهب معين، فهو يضع يده على عوامل ضعفنا وتفرقنا فيقدم لنا العلاج، مبينا أن علينا ترك الخلافات المذهبية التي نتبعها تقليدا، وأن نعتمد الكتاب والسنة وثابت الإجماع، لكيلا تفرقنا الآراء أما ما لم يرد فيه نص أو أجماع، فنأخذ ما يناسب من أي مذهب، فهو بذلك يريد التوفيق بين المذاهب حلا للخلاف بينها وتوحيد للمسلمين. ثم يوجه الكواكبي اهتمامه إلى ما يتصل بالجسم من إرشادات، إذ يقول: ((تربية العقل مصحوبة بتربية الجسم، لأنهما متصاحبان صحة واعتلالاً، فانه يقتضي تعويد الجسم على النظافة وعلى تحمل المشاق، والمهارة في الحركات، والتوقيت في النوم والغذاء والعبادة، والترتيب في العمل وفي الرياضة والراحة))[4]. وعَدَّ الكواكبي تعليم اللغة العربية، وتوحيد تدريسها من الإجراءات الإصلاحية المهمة في مجال التربية حيث يقول: ((إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس))[5]. واهتمام الكواكبي باللغة العربية وطريقة تدريسها، يشابه ما أعطاه الطهطاوي من الاهتمام الكافي بعد معاينته للطرائق المنهجية التي يتم بها تعليم اللغات، ومنها اللغة العربية، وذلك رعايته للمدارس ومدارس الترجمة التي أنشأها مثل مدرسة الألسن. ويتناول الكواكبي قضية التخصص، بمعنى التدرج والتمايز على أساس من تدرج مراتب المعلمين والمتعلمين وهي:

1. العامة: ومعلموها أئمة المساجد والجوامع الصغيرة.
2. المهذبون: ومعلموها مدرسو المدارس العمومية، والجوامع الكبيرة.
3. العلماء: ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية.
4. النابغون: ومعلموهم الأفاضل المتخصصون [6].

ويذهب الكواكبي إلى أبعد من ذلك حين دعا إلى ضرورة وجود التخصص الدقيق حيث يقول: ((تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الأمة أفراد نابغون متخصصون))[7]. فالتخصص هو علاج نافع لشفاء الأمة وفي موضع آخر، قال: ((أن الكياسة لا تتحقق في الإنسان إلا في فن واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان، فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره لا ادري ولا اقدر))[8]. ويعد التخصص وتقسيم العمل من المفاهيم التي أوجدها الإسلام، وقد أخذ المسلمون بها في تعاملاتهم وفي تنظيم شؤون حياتهم

(1) ينظر: حمود، ماجدة: عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، ص 64.
(2) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 267.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 152.
(4) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 101.
(5) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 204.
(6) ينظر: عمارة، محمد: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، ص 134.
(7) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 204.
(8) المصدر نفسه، ص 176.

الدينية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والتخصص يجعل من المدرس مقتدراً من المادة التي أختص بها عارفاً بأبسط الأمور وأصعبها. وقد أعطى الكواكبي أيضاً التعليم المهني عناية خاصة، فدعا للاهتمام بهذا الفرع حتى تتقدم الصنائع والفنون[1]. فالتربية عند الكواكبي نهضة مفتوحة العينين تمضي على بصيرة وثقة ولا تستسلم للإعجاب الذليل ولا للمحاكاة العمياء، وأنها ملكة ((تحصيل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس، أهم أصولها وجود المربين واهم فروعها وجود الدين))[2].

وما من أمة تأخذ بأسباب هذه التربية بعينها من دون أن تدرك الغاية من نفعها، وأول هذه الأسباب صدق الرجاء في إدراك تلك الغاية حيث يقول الكواكبي: ((فلا يهولنا ما ينبسط في جمعيتنا من قال أننا امة ميتة فلا ترجى حياتنا، كما لا إصابة في قول من قال إذا انزل الضعف في دولة أو امة فلا ترتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية))[3]. وواضح من كلام الكواكبي أن السبيل الوحيد إلى النهضة هو قلب ذلك الواقع الفاسد والفتور البالغ في المجتمع العربي، كي نتجنب اليأس والقنوط أو الاستسلام للرأي الخطير بأننا أمة ميتة، ونقعد منبهرين بمدينة الغرب ومنقادين لها. والتربية المطلوبة هي إعداد العقل للتمييز والمحاكمة، وحث الناس على تقوية الإرادة وإتقان الإعمال، وهي تربية تشمل العقل والنفس والجسم، فتقوى الأجسام وتحيي العلوم وتنمي الأخلاق وتربي النفس على معرفة خالقها ومراقبته والخوف منه[4].

وينصح الكواكبي في جميع الخطوات الثقافية التي يوصي بها بإتباع طرائق تربوية محددة من جهة البساطة، ويعطي أهمية كبيرة لمراجع التعليم بواسطة كتيبات مختصرة بسيطة وواضحة، حتى أنه يذهب إلى حد الإشادة بحماس بالطريقة التي يعرف بها المستشرقون الغربيون اللغة العربية، وذلك بقوله: ((وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلها يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله، وما ذلك إلا ظفر مدارس اللغات الشرقية إلا فرنجية بأصول التعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا))[5]. وبحسب هذا يرى الكواكبي أن أحد أسباب إعراض الناس عن تعلم اللغة العربية هو سوء الكتب الموضوعة لهذا الغرض، المحشوة بأشياء صعبة على المبتدئ في تعلم هذه اللغة[6]. وهنالك قضية يتحدث عنها المهتمون بالتوسع الأفقي في ميدان التربية والتعليم، والذين يخططون لمحو الأمية وتثقيف جماهير العمال الفلاحين، التي قيل أن الصين قد قامت بتنفيذها عندما وضعت الكتب الثقافية المبسطة ذات الثمن الزهيد، التي تباع في الأسواق الريفية وفي مراكز العمل والإنتاج، هذه القضية قد تحدث عنها الكواكبي بوصفها مهمة من مهام جمعيته، التي يجب أن ((تقوم بوضع مؤلفات اللغة، وسطى عربية، وجعلها لغة لبعض الجرائد ومؤلفات الأخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط))[7]. وعنده أن التثقيف والتربية هي أدوات الإصلاح، وهذه مرحلة جديدة تطور فيها أسلوب العمل بعد أن كان في رأي بعض المصلحين هو العمل السياسي القائم على التأجيج العاطفي وحده، والكواكبي في هذا المنهج الثقافي العلمي يشترك مع معاصره (محمد عبده)[*] ويلتقي معه في أسلوب العمل[8].

(1) ينظر: كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد دراسة تحليلية، ص 114.
(2) العقاد، عباس محمود: عبد الرحمن الكواكبي الرحالة (ك)، ص 150.
(3) المصدر نفسه، ص 150.
(4) ينظر: طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص 404.
(5) تابييرو، نوربير: الكواكبي المفكر الثائر، ترجمة علي سلامة، منشورات دار الاداب، بيروت، بلا، ص 129.
(6) ينظر: برج، عبد الرحمن: مصر والحركة العربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص87.
(7) عمارة، محمد: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، ط2، دار الشروق، بيروت، 1998م، ص 141.
(*) ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية (نصر) من أعمال مديرية محافظة البحيرة عام1849م من أسرة تعتز بكثرة رجالها، ومقاومتهم لظلم الحكام، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات، تلقى تعليمه الأولي للقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وبدأ ذلك وهو في السابعة من عمره، بدأ في عام1864م يتلقى أول دروسه الأزهرية، لكن أساليب التدريس الفقهية قد صدته عن قبول الدروس، زار الأفغاني مصر للمرة الثانية، واتصل به محمد عبده ولازم مجلسه: كتب (مقدمة لرسالة الواردات الفلسفية)، وفي عام 1878م عين مدرساً للتاريخ بمدرسة دار العلوم، وألف لهم كتاباً ضاعت أصوله، هو (علم الاجتماع والعمران) توفي عام 1905م. للمزيد ينظر: عمارة، محمد، الأمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988م، ص24-30.
(8) ينظر: الجندي، أنور: يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1971م، ص 181.

ثم يوجه الكواكبي انتقاداً لوجه من النشاط الاجتماعي، وهو تقليد الناشئة للغرب وإهمالهم قضاياهم الدينية والقومية وفي هذا يقول: ((ومن أقبح هذا الخور نظرهم الكمال في الأجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم، فيندفعون لتقليد الأجانب وإتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التعصب في الدين والافتخار به، فمنهن من يستحي من الصلاة في غير الخلوات، وكإهمال التمسك بالعادات القومية))[1]. ومرض آخر عانى منه المسلم وما يزال، وهو التفرنج وذلك حين يظن الكمال في الغرب فيندفع الى تقليدهم مهملاً واجباته الدينية وعاداته القومية التي تعطيه هوية خاصة به ولذلك يرى الكواكبي من الواجب محاربة هؤلاء بكل وسيلة، بل نجده يدعو الأدباء الى ممارسة دورهم في التوعية، وذلك بوضع الأناشيد بعبارات بسيطة محلاة بالنكتة، كي تنتشر على ألسنة العامة، فيتم القضاء على هؤلاء الوهنة، ونشر قيم أصيلة بين العامة، إذ يبين عبر هذه اللفظة (الوهنة) بالمرض الشامل للعقل والجسد وهو يصيب أولئك الذين يرون الأجنبي مثلاً أعلى لهم، ثم يحدد سمات الوهنة، أنهم أناس أذلاء يائسون فاشلون عديمو الشخصية أمام المستبد حين يرضخون له، وهم كذلك أمام الأجنبي حين يقلدونه، والباحث يتفق مع الكواكبي فيما ذهب إليه. لقد عم الفساد والتشوه حتى شمل المفاهيم التربوية التي ينشأ عليها الإنسان وفي هذا يقول الكواكبي: ((وهؤلاء الوهنة، فأنهم منذ نعومة أظافرهم تعلموا الأدب مع الكبير، يقبلون يده أو ذيله أو رجله، وألفوا الاحترام فلا يدوسوا الكبير ولو داس رقابهم. وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق. وألفوا الانقياد ولو إلى المهالك))[2].

ويبين الكواكبي في كلامه أن المفاهيم التربوية، التي يتربى عليها الإنسان قد تبدلت فبات احترام الكبير انسحاقاً أمامه، على الرغم من أن هذا الكبير لا يستحق الاحترام، فيقبلون يده أم ذيله أو رجله، نلاحظ هنا اللغة الساخرة التي تشمل الإنسان المشبوه سواء أكان سيداً له ذيل أو عبداً يرضى بأن يقبل حتى الذيل، بذلك سلخت التربية الخاطئة والمشوهة سماتهم الإنسانية حين قبل احدهم الذل والثاني حين رضي أن يكون مستبداً مذلاً للناس، فانحدرت بذلك الحياة الإنسانية إلى مهاوي الحياة اللانسانية. ويؤكد الكواكبي عدم اهتمام الإسراء بتعليم أولادهم لكي لا يجنوا عليهم حيث قال: ((وبناء عليه ما أبعد الإسراء عن النشاط للتربية لماذا يتحملون مشاق التربية، وهم أن نوروا أولادهم جنوا عليهم بتقوية إحساسهم، فيزيدونهم شقاء، ويزيدونهم بلاء، ولهذا لا غرو أن يختار الإسراء، الذين فيهم بقية من الإدراك، ترك أولادهم تجرفهم البلاهة إلى حيث تشاء))[3]. من كلام الكواكبي في أعلاه نستنتج تناقضاً واضحاً في أفكاره التربوية، فبعد أن كان ينادي بأن الاستبداد لا يقاوم إلا بالتربية التي تسهم في إعداد الإنسان الجديد الثائر، ويكون ذلك بالتدرج والحكمة، وترقي في الإدراك عند أبناء المجتمع، ويستند ذلك إلى تقوية روح المقاومة وبذلك تصبح التربية معولاً يقوض الاستبداد، نراه يغير أفكاره، بما لا يتناسب مع آرائه على وجه العموم، فهو يطلب من الآباء الذين يعيشون تحت وطأة الاستبداد (الإسراء) بحسب ما يسميهم الكواكبي إلا يعلموا أولادهم حتى لا تزداد حساسيتهم ويتألمون ويزداد شقاؤهم، وهي حجة ضعيفة، لا يمكن أن تصدر من مفكر مثل الكواكبي إلا في لحظة ضعف، وشعوره بوطئة الاستبداد وصعوبة الوضع الذي كان يعيشه المجتمع. ويقدم الكواكبي صورة صعبة لنشأه الأسير وتربيته في البيت الفقير بشكل خاص، فالأسير ((يلقح به وفي الغالب أبواه متناكدان متشاكسان ثم إذا تحرك جنينا حرك شراسة أمه، أو زاد الآم حياتها فضربته. فإذا ما نما ضيقت عليه بطنها لألفتها الانحناء خمولاً والتصرر صغاراً، والتقلص لضيق فراش الفقر. ومتى ولدته ضغطت عليه بالقماط، اقتصاداً أو جهلاً، فإذا تألم وبكى سدت فمه بثديها أو قطعت نفسه خضا أو بدوار السرير فشتمته، أو سقته مخدراتً عجزاً عن نفقة الطبيب. فإذا ما فطم، يأتيه الغذاء الفاسد يضيق معدته ويفسد مزاجه، فإن كان قوي البنية طويل العمر وترعرع، يمنع من رياضة اللعب لضيق البيت))[4].

(1) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 182.
(2) المصدر نفسه، ص 182 – 183.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص97 0
(4) الكواكبي، عبد الرحمن: الرحالة كاف طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 163.

وبعد أن يجسد لنا الكواكبي وطأة الظروف الاجتماعية والسياسية وانعكاساتها على التربية والإجحاف الذي يلحق بأسير الاستبداد في مجتمعه الذي يعيش فيه، يطرح البديل، ولم يكن هذا البديل سوى تغيير هذا الواقع حيث يقول الدكتور محمود فهمي جدعان في تعقيبه على ذلك: إن هذا الوضع، أو هذه الأوضاع تنتج لدى الأسير قوانين غريبة في مقاومة الفناء وقوانين هي مقتضيات الشؤون المحيطة به، تضطره إلى أن يطبق إحساساته عليها، ويدير نفسه على موجبها، فيقابل على سبيل المثال التجبر بالتذلل والتصاغر، ويتعامى عن زلات المستبد ويتظاهر بفقد الحس ويعزو كل خير إلى المستبد، ويسند الشرور إلى الاستحقاق، ويطالب بالحقوق بصفة الاستعطاف، وبكلمة يصبح منافقاً لا تستطيع التربية إصلاحه إلا أذا أزيل المانع الأصلي عن الإصلاح، وهو مانع الاستبداد[1].

فإصلاح النظام التربوي وغرس القيم الفاضلة والإعداد السليم للنشىء، كي ينهضوا لخدمة الأمة والوطن، شرط استيعابهم للتراث والتاريخ وعلوم العصر، فهم خلف لسلف قاد الأمم إلى الخير والصلاح. على أن يدركوا علة العلل، والاستبداد السياسي الذي متى ما عولج، عادت الحياة إلى الجسم الفاتر والعليل ببعثه من جديد بعد فتور ألف عام[2]. ثم ينتقل الكواكبي إلى المربين أو العلماء، حيث يطلب بداية أن تؤمن جميع احتياجاتهم، حتى لا يأتون بما ينقص من قدرهم بوصفهم مربين، وانه ليس من حق أي إنسان أن يمارس التعليم في كتاب أو مدرسة على هواه، وكيف ما يريد، بل لابد من تنظيم هذه المهنة، مهنة التدريس، ومراقبة لها وفي سير عملياتها لذلك طالب الكواكبي ((بالسعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة العلماء معاملة الأطباء، أي بالحجر رسمياً على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً من قبل هيئة امتحانيه رسمية موثوق بها تقام في العواصم))[3]. ولم يكن الكواكبي يرى في المدارس والمعاهد الدور الوحيد والكفيل بتحقيق ما يريد في هذا الباب، بل أنه بحس المناضل الثائر، أبصر الدور الفاعل للصحافة في ميدان التربية، وكانت يومئذ السبيل الوحيد الموجود من سبل الإعلام[4].

ويؤمن الكواكبي بتنظيم النسل وعدم الانجراف في الشهوات الجنسية المنبعث عن الجهل وضيق الأفق، وفي هذا يقول: ((في الحقيقة أن الأولاد في عهد الاستبداد سلاسل حديد يرتبط بها الآباء على أوتاد الظلم والهوان والخوف والتضييق. فالتوالد، من حيث هو، زمن الاستبداد حمق، والاعتناء بالتربية حمق مضاعف، وغالب الإسراء لا يدفعهم للزواج قصد التوالد، إنما يدفعهم إليه الجهل المظلم، وإنهم، حتى الأغنياء منهم، محرومون من كل الملذات الحقيقية كلذة العلم وتعليمه، ولذة المجد والحماية، الى غيره من الملذات الروحية)).[5] فالتربية عند الكواكبي عملية مستمرة ولها خصوصيتها، ولا تقصر على تنمية جانب واحد من جوانب الشخصية، بل تشمل الجوانب كافة، وبهذا يكون مفهوم التربية الذي جاء به الكواكبي مفهوماً شاملاً متكاملاً، يهدف إلى تكوين شخصية متكاملة مسايرة لروح العصر ومتطلباته، وفي الوقت نفسه محافظة على أصالتها، ومن مبادئ الكواكبي التربوية الإرشاد التربوي وفي هذا قال: ((وعلى ذكر اللوم الإرشادي، لاح لي أن أصور الرقي والانحطاط في النفس، وكيف ينبغي للإنسان العاقل أن يعاني أيقاظ قومه، وكيف يرشدهم إلى أنهم خلقوا لغير ما هم عليه من الصبر على الذل والسفالة، فيذكرهم ويحرك قلوبهم ويناجيهم وينذرهم))[6].

(1) ينظر: جدعان، محمود فهمي: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1988 م، ص 301 – 302.
(2) ينظر: الجابري، علي حسين: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993 م، ص 293.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 204 – 205.
(4) ينظر: عمارة، محمد: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، ص 141.
(5) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 261 – 262.
(6) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص274.

المبحث الثالث

العلم والتعليم وأهميتهما عند الكواكبي

العلم وأهميته:

الجدل الذي يثور حول ضرورة اشتراك العلماء في تقرير مصير الإنسانية، ووجوب تحملهم مسؤولية الأعمال التي يقدمها بين يدي الإنسانية، وهذا الجدل حول هذه الضرورة او عدمها، أخذ الكواكبي منه موقفاً، فهو لا يرى ضرورة مشاركة العلماء في خضم الحياة فحسب، ولا يبعد فقط مسؤوليتهم تجاه مكتشفاتهم وأبحاثهم عندما توضع في التطبيق، ولكنه أكثر من ذلك يضع العلماء، ويطلب منهم، أن يكونوا في مقدمة صفوف المناضلين دفاعاً عن الحرية، وضد الاستبداد والمستبدين، والكواكبي يحدد مكان العلماء من معركة الإنسان ضد أعداء التقدم والحرية والرخاء حيث يقول: ((المستبد عاشق للخيانة والعلماء عواذله))[1].

ويعرف الكواكبي العلم بأنه: ((قبسة من نور الله وقد خلق الله النور كشافاً مبصراً ولاداً للحرارة والقوة، وجعل العلم مثله وضاحاً للخير فاضحاً للشر ويولد في النفوس حرارة وفي الرؤوس شهامة. العلم نور والظلم ظلام ومن طبيعة النور تبديد الظلام، والمتأمل في حالة كل رئيس ومرؤوس يرى كل سلطة الرئاسة تقوى وتضعف بنسبة نقصان علم المرؤوس وزيادته))[2]. يتضح من تعريف الكواكبي للعلم أن الشريعة تؤكد العلم، وأن العلم من الله تعالى وأن العلم يوضح الحقيقة ويكشف كل زيف، وان هنالك ارتباطاً بين العلم والقدرة على مقاومة الاستبداد والتخلص منه. ثم يبيّن أن الحاكم المستبد يخشى العلم لأن العلم نور، وهو يريد أن تعيش الرعية في الظلام؛ لان الجهل يمكنه من بسط سلطانه، وروى أن حاكماً مستبداً شرقياً كان له مرّبٍ سويسري، فقال له يوماً بعد أن تأمرّ: ((ليتك تعتنى بتربية الشعب وتعليمه "فقال الأمير" كلا أني أن علمته صعب علي حكمه))[3]. لذلك ليس من مصلحة المستبد أن ينشر العلم حتى لا ينحسر سلطان استبداده، فهو يبغض العلم من حيث نتائجه؛ لأن العلم ينير الدروب ويعلم طريق الحرية[4]. فالجهل هو الحالة الوحيدة التي تناسب الاستبداد، إذ كلما كانت الرعية في ظلام الجهل، استفاد المستبد في اصطياد أفئدة أبناء رعيته وعقولهم، فالجهل هو المناخ المناسب لقيام الاستبداد واستمراره ولزيادة تعسفه وانتشاره، ولا شك أن الجهل وحده ليس مناخاً كافياً إلا باعتبار ما يرافقه، ورفيق الجهل الدائم ليس سوى الخوف، الذي يولد القهر والمذلة والضعف والاستسلام لجلادي المستبد وأعوانه[5]. ويشبه الكواكبي المستبد بالوصي الخائن: ((ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي، يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافاً قاصرين، فكما انه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم وكذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم))[6].

والعلم عند الكواكبي نوعان، علم لا يهتم المستبد بمقاومته؛ لأنه لا يرى فيه ضرراً على جبروته وصروح طغيانه، أو يراه في خدمة هذا الجبروت وذلك الطغيان وعلم آخر يرى فيه المستبد، كما يرى الشعب، قوى مادية تتحرك، وتزحف لتضع حداً ونهاية لهذا الجبروت وذلك الطغيان[7]. والعلوم التي لا يخشاها المستبد بحسب رأي الكواكبي علوم اللغة، المقومة للسان بل كل شيء لا يتصف بالحكمة، حتى المسائل الغيبية، ألا أنه يخاف من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم والسياسة المدنية والتاريخ المفصل والخطاب وغيرها[8].

(1) عمارة، محمد: مسلمون ثوار، ص 219.
(2) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 210.
(3) أمين، احمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب، بيروت، بلا، ص 257.
(4) ينظر: الطحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص 182.
(5) ينظر: كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد دراسة تحليلية، ص 69.
(6) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 210.
(7) ينظر: عمارة، محمد: مسلمون ثوار، ص 219.
(8) ينظر: كاظم، عادل عبد الهادي: النزعة التوفيقية في الفكر العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2004م، ص44.

يؤكد الكواكبي في كلامه أن المستبد قد يسمح بوجود بعض أنواع العلوم التي لا تهدد استبداده في شيء بل هناك علوم يسعى المستبد نفسه إلى نشرها وتشجيع أهلها وتقريبهم وحتى مكافأتهم، ومثل هذه العلوم إذا أولت وحرفت وهو ما يقوم به العلماء الفاسدون فإنها لا تقرب من الواقع شيئاً وتقدم المفاهيم المغلوطة التي تكرس واقع الاستبداد وتنمية وتصوره بأنه قضاء من السماء لا يمكن رده إلا بالصبر. ولا يخاف المستبد من ((العلوم الصناعية، لأن أهلها يكونون مسالمين صغار النفوس، صغار الهمم، يشتريهم المستبد بقليل من المال والإعزاز))[1]. ويعلق الدكتور صلاح الجابري على نص الكواكبي أعلاه تعليقاً واقعياً، فلا يوافقه على ما ذكره في نصه، فما علاقة العلوم الصناعية بتدني المستوى الأخلاقي للإنسان، فشراء الذمم بالمال ليس نتيجة لدراسة العلوم الصناعية أبداً، بل هي سمة أخلاقية لبعض البشر بمختلف ثقافتهم، والصحيح أن موضوع العلوم الصناعية ليس الوعي البشري سواء الفردي أم الاجتماعي، فليس من مهامها تشخيص عوائق الوعي الاجتماعي وتنبيه الوعي الفردي على حقوقه الطبيعية، بل تتعلق بموضوعات تقع خارج ذات الإنسان[2].

أما العلوم التي يخشاها المستبد بحسب ما يقول الكواكبي إنما ((ترتعد فرائص المستبد، طبائع الاجتماع، والخطابة الأدبية، نحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول وتعرف الإنسان ما حقوقه، وكم هو مغبون وكيف الطلب، وكيف النوال، وكيف الحفظ، وأخوف ما يخاف المستبد من أصحاب هذه العلوم المندفعين منهم لتعليم الناس بالخطابة أو الكتابة))[3]. ويوضح الكواكبي بكلامه، أن العلوم التي تساعد على النهضة والتحرر، وتجعل الفرد محيطاً إحاطة شاملة بمشكلات واقعة، وتساعده على تفهم قواعد الإصلاح وأسسه، وتعرفه بحقوقه وكيف يطالب بها، وتملأ النفس عزاً وشموخاً، يخشاها المستبد ويجند لها الوسائل التي يمتلكها كي لا تسمع بها رعيته أبداً إلا بصورة مشوهه. ثم يصنف الكواكبي العلماء على صنفين، صنف يخافه المستبد والثاني لا يخافه ويكون خاضعاً له وفي هذا قال: ((المستبد يخاف من هؤلاء العلماء العاملين الراشدين المرشدين، لا من العلماء المنافقين أو الذين حشوا رؤوسهم محفوظات كثيرة كأنها مكتبات مقفلة))[4].

ويبيّن الكواكبي في كلامه، أن هنالك بعضاً من العلماء المتنورين يشّرع للاستبداد، وفي ذلك بالغ الإساءة للعلم وللعالم نفسه، ومن هؤلاء يستمد المستبد قوته، وقد أعطاها الكواكبي اسماً هو (العلماء المنافقين)، وهم كذلك، ويستحيل لأي إنسان عاقل يدافع عن الاستبداد ويسوّغه، إلا إذا كان من ذلك الوضع مستفيداً، ويبقى الاستبداد طالما استمر هؤلاء العلماء بالنفاق. والكواكبي لم يكن فقط نصيراً لحرية الفكر والعلماء، بالمعنى الذي لا يتعدى مفهوم الحرية الفردية الضيقة، فلقد كان يبصر قيمة العلم في ضوء فاعليته في المجتمع وبالتالي في ضوء مدى انتشار حقائقه وقضاياه وسط أوسع الكتل الشعبية والفئات والطبقات فهو يرى أن المستبد في جانب. والعلماء في جانب آخر، وبينهما صراع على قيادة الجماهير، وبقدر نجاح العلماء في قيادة الشعب يكون خطرهم وخطر عملهم على الاستبداد والمستبدين فكأنما كان يرفع شعار اليوم، وهو العلم للملايين، حيث يقول: ((يسعى العلماء في نشر العلم ويجتهد المستبد في إطفاء نوره، والطرفان يتجاذبان العوام، ومن هم العوام؟ هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا وهم الذين متى علموا قالوا، ومتى قالوا فعلوا))[5].

والمستبد كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته، لان للعلم سلطانا أقوى من كل سلطان فلا بد للمستبد من أن يحتقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علما، لذلك لا يحب المستبد أن يرى وجه عالم ذكي، فاذا أضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار المتصاغر المتملق[6]. وعلى الرغم من مطاردة المستبد لهم، سعياً منه للتنكيل بهم وإسكاتهم عن بيان فساد إدارته وهو إذ يفعل ذلك فانه يستبدل بهم المتعالين ويمنحهم الألقاب العلمية الرفيعة ليظلل الناس عن حقيقتهم يتبعوهم من دون العلماء الحقيقيين. يصور الكواكبي ذلك وهو يطلق زفرة حسرة وأسى: ((قاتل الله الاستبداد الذي

(1) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 45.
(2) ينظر: الجابري، صلاح: حفريات في الاستبداد دراسة تحليلية نقدية، ط1، العارف للمطبوعات، بيروت، 2010 م، ص 43.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 211-212.
(4) المصدر نفسه، ص 212.
(5) عمارة، محمد: مسلمون ثوار، ص 220.
(6) ينظر: خوري، رئيف: العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، ط3، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993م، ص207 .

استهان بالعلم حتى جعله كالسلعة يعطى ويمنح للاميين ولا يجرؤ احد على الاعتراض))[1]. لقد جعل الكواكبي إهمال العلم والعلماء من الأسباب السياسية التي تسهم في ضعف الأمة، حيث يقول: ((وعندي أن السبب العام للداء هو أن علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وأهملوا باقي العلوم الرياضية والطبيعية التي كانت آنذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال، ففقد أهلها من بين المسلمين واندرست كتبها وانقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها، بل صار المتطلع أليها منهم يفسق ويرمي بالزيغ والزندقة على حين أخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى كد القرن ترقت وظهر لها ثمرات عظيمة في كافة الشؤون المادية والأدبية حتى صارت كالشمس ولا حياة لذي حياة إلا بنورها، فأصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين إليها لمجاراة جيرانهم، احتياجاً يعم الجزيئات والكليات من تربية الطفل إلى سياسية الممالك ومن استنبات الأرض إلى استمطار السماء))[2]. واضح من كلام الكواكبي، انه يربط النهوض السياسي بالنهوض التعليمي، فيبرز كيف أساء الحكام إلى الأمة حين أهملوا العلم وأفقروا العلماء، ومن أسباب ضعف الدولة اقتصارها على العلوم الدينية وإهمال العلوم الرياضية والطبيعية، وهو يلفت النظر إلى أن هذه العلوم أخذه في النمو عند الأوربيين، وقد بينَّ الكواكبي أن علاج هذا التخلف يكمن في إدخال هذه العلوم العقلية النافعة إلى بلاد المسلمين والاستفادة منها. ويرى الكواكبي أن أهم أسباب الاستبداد هو الخوف والجهل وفي هذا يقول: ((أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، فإذا ارتفع الجهل وتنور العقل زال الخوف، وأصبح الناس لا يتعادون طبعاً لغير منافعهم، كما قيل: العاقل لا يخدم غير نفسه، وعند ذلك لابد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال))[3]. وربما الغرب انتصر على الخوف من مواجهة الحاكم بالعلم، فان خوف الشرقي لا يمكن مواجهته إلا بالعلم بحسب ما يقرر الكواكبي. ولا شك في أن أهم الأسباب التي أدت الى تقهقر المسلمين كان يكمن في الخوف الذي أدى دوراً كبيراً في إعلاء شأن المستبد، وتقليل قيمة الرعية لعدولها عن المقاومة، فالخوف يولد اليأس والقنوط، ويقلّل من القدرة على المواجهة[4].

ثم يصف الكواكبي خوف المستبد من رعيته ويقارنه بخوف الشعب منه، وأشد ما يخاف تعرضاً لبطشه، وفي هذا يقول: ((كلما ازداد المستبد ظلماً وأعتسافاً زاد خوفه من رعيته وحتى من حاشيته ومن هواجسه ومن خيالاته، وأكثر ما تحتم حياة المستبد بالجنون التام، قلت التام لان المستبد لا يخلو من الحمق قط لنفوذه من البحث عن الحقائق))[5]. وقد حاول الكواكبي التوفيق بين العلم والدين، وعَدّ أن مصالحتها شرط من شروط النهضة، مبيناً وظائف كل منها ودوره في الإصلاح الاجتماعي، فوظيفة الدين هي توحيد الناس على الإيمان بوجود الله ووحدانيته، والسعي للعمل بما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، لتصلح العلاقات وتسمو الأخلاق. أما وظيفة العلم فهي تبصير الناس بحقوقهم، وتوعيتهم والسعي للانتقال بهم، من خلالهم، من طور معاناة التخلف إلى طور التنعم بمعطيات التقدم[6].

ويوفق الكواكبي بين العلم والدين انطلاقاً من الإنسان نفسه، من حاجاته وإمكانياته، لذلك فإن الثورة التي يطالب بها إنما هي ثورة داخلية أكثر منها ثورة خارجية. والتوفيق عنده ليس تلفيقاً في صالح أحدهما، ولكنه تركيب معقد يحتل فيه العقل مساحة واسعة في تفسير كل منهما، مما يجعل من الممكن تصالحهما، وذلك بمحاولة إزالة ظاهرة تعارضهما وصولاً إلى ما هو جوهري في اتفاقهما على غاية واحدة هي صلاح الإنسان وتقدمه، وبقدر إزالة ظاهر تعارضهما يتحقق التقدم وتتحقق مصلحة الإنسان، بعد أن لاحظ الكواكبي أن الجهل والتفرق والضعف والفقر هي مجلبات الاستبداد[7]. وقد ظهرت في أيام الكواكبي دعوات التشكيك في مضامين القرآن ومناهج الإسلام حول الكشوف العلمية وكانت الدعوة التفريقية تحمل القول بأن الإسلام لا يلائم روح العصر الحديث وقد أثبت أن الإسلام داعية العلم وفاتح صدره له، وذكر أن كل ما كشف

(1) طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص 184.
(2) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 53 – 54.
(3) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 213.
(4) ينظر: أمين، نضر علي: عبد الرحمن الكواكبي، دراسة سياسية – فكرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1996م، ص 199.
(5) قلعجي، قدري: عبد الرحمن الكواكبي، ص 55.
(6) ينظر: طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص 519.
(7) ينظر: المصدر نفسه، ص 519.

عنه العلم الحديث من مجهول له جذور في القرآن الكريم[1]. فلا تضاد بين العلم والدين الإسلامي وفي ذلك يقول الكواكبي: ((لا شك أن المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة، يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً، بالنظر إلى كشفها بعض أسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه، مما كان مستوراً إلى الآن، وقد خبط فيه المفسدون خبط عشواء، كظهور حياة الجمادات بماء التبلور، وازدواج النباتات عامة))[2].

أما المستبدون الشرقيون فأفئدتهم هواء ترتجف من صولة العلم كأن العلم نار وأجسامهم من بارود، والمستبدون يخافون العلم حتى من علم الناس معنى كلمة لا اله إلا الله))[3]. أبرز لنا الكواكبي، كيف حضر الإسلام على رفض العبودية لغير الله تعالى، فأكد بذلك حق الإنسان في الحرية والعدالة والمساواة، ولا شك أن الإنسان لن يستطيع حماية حقوقه هذه إلا إذا كان متعلماً، لذلك يرى الكواكبي أن الإسلام أول دين حض على العلم، وخير دليل على ذلك أن أول كلمة أنزلت على رسوله (ﷺ)، مشكلة أول أمر إلهي في القرآن الكريم هي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[4]. فشكلت بداية حياة جديدة، وقد جاء أمر الله تعالى بالقراءة مكرراً دليلاً على كونه أمراً ملحاً ذا أهمية قصوى، وقد أدى هذا الأمر لدى السلف الصالح إلى وجوب تعلم القراءة والكتابة، وبذلك صار العلم في الأمة مباحاً للكل، غير مقتصر على رجال الدين أو الإشراف كما كان في الأمم السابقة، فانتشر العلم في سائر الأمم أخذاً عن المسلمين[5]، إجمالاً فأخوف ما يخافه المستبد من العلم، العلم الذي يعلم أن الحرية أفضل من الحياة، والشرف أعز من المنصب والمال، والحقوق وكيف تحفظ، والظلم وكيف يرفع، والإنسانية وقيمتها، والعبودية وضررها[6]. وإذا كان النظام الاستبدادي يحارب العلم ويخافه، فما بالك بعلم ينشر، وجمعية تنظم الطاقات، فالمواجهة أمر محسوب، ليس هذا فحسب، ولكن يزاد على ذلك عدم توفر الوعي من قبل كل الناس لاحتضان هكذا عمل ورعايته ودعمه، وعلى الرغم من ذلك كله لابد من أن تبدأ مسيرة الألف ميل بالخطوة الأولى من دون تردد[7]. وفي إطار اهتمام الكواكبي بالعلم، دعا إلى ((الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمها وتلقيها))[8]. لذلك دعا الكواكبي إلى ((فتح باب العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس، وسد باب إضاعة الأوقات بالعبث، ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهالك))[9].

ويستعمل الكواكبي مصطلح العلماء أو الحكماء عوضاً عن مصطلح المثقف الذي نستخدمه اليوم، ومن الملاحظ أن المصطلح الأول ذو دلالة دينية في تراثنا الإسلامي، أما المصطلح الثاني فذو دلالة دنيوية. ويسعى العلماء، الذين ينبتون في مضايق صخور الاستبداد جهدهم لتنوير عقول الناس بوسائل مباشرة عن طريق الخطابة في الجوامع والتدريس أو بوسائل غير مباشرة عن طريق الكتابة، لذلك نجدهم يستحقون تعريف القرآن الكريم لهم بالصالحين والمصلحين[10].

تعليم المرأة:

في بداية عصر النهضة العربية، أدرك النهضويون العرب أن التخلف والانحطاط الذي آلت إليه شعوبنا لا يمكن الخروج منه من دون تحرير نصف المجتمع الذي تحول من بشر أسوياء إلى أدوات صماء، فانطلقت أصواتهم منادية بتحرير المرأة.

كونت علاقة الرجل بالمرأة بوصفها المجتمع الأصغر دافعاً لدى الكواكبي لدراسة العلاقات الاجتماعية، فقد لاحظ أن المجتمع الإنساني ينقسم على قسمين غير متساويين في الواقع العلمي حيث يقول: ((أقسمت النساء مع الذكور أعمال

(1) ينظر: الجندي، أنور: يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1971م، ص177.
(2) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 54 – 55.
(3) قلعجي، قدري: عبد الرحمن الكواكبي، ص 55 – 56.
(4) سورة العلق: الآية (1).
(5) ينظر: حمود، ماجدة: عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، ص 73.
(6) ينظر: أمين، احمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 258.
(7) ينظر: السحمراني، أسعد: الاستبداد والاستعمار وطرق معالجتها عند الكواكبي والإبراهيمي، ص80.
(8) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 203.
(9) المصدر نفسه، ص 237.
(10) ينظر: حمود، ماجدة: عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، ص 74.

الحياة قسمة ضيزى(*))[1]. هذا الكلام غير معقول ولا مقبول لاسيما إذا صدر عن شخص عارف بالدين كالمفكر الكبير الكواكبي، فالإسلام دين الفطرة، وما قررته الشريعة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى هذه الفطرة، فقد فضل الله تعالى الرجل في خلقته بقوة الجسم وكان بها أقدر على الكسب والحماية الخاص بالأسرة ومن ثم فرض عليه النفقة، وبهذا كان الرجال قوامين على النساء يتولون الرياسة العامة وعليهم جميع الأعمال الخارجية ومن مقتضى الفطرة أيضاً اختصاص المرأة بأمور الحمل والرضاعة وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شؤونه، وان الأفضلية للرجال، والأنوثة ضعف طبيعي، ومحسوس ومشاهد لجميع العقلاء. قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتاتٌ حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿وللرجال عليهن درجةٌ والله عزيزٌ حكيم﴾[3].

ويرى الكواكبي إن النساء قد سنن قانون ينص على أن هين الإعمال للنساء وفي هذا يقول: ((ن النساء تحكمن بسن قانون عام به جعلن نصيبهن هين الأشغال بدعوى الضعف، وجعلن نوعهن يهن ولا يهان، ويظلم فيعان، حتى أنهن جعلن الذكور يتوهمون أنهن أجمل منهم صورة))[4]. ويعود الكواكبي مرة ثانية ويتحامل على المرأة ويرى بأنها هي من وضع هذا القانون، والباحث يختلف مع الكواكبي فيما ذهب أليه وذكرنا سابقاً بأنها من عوامل الفطرة، وإذا افترضنا وهو افتراض غير منطقي، أن هذا القانون إنساني، فلماذا لا يكون الرجل هو من وضعه، ومن ثم غيره بعد أن رأى أن في ذلك مصلحة له، وذلك بخروج المرأة إلى العمل لمساعدته في الأمور الاقتصادية. وتستمر طروحات الكواكبي الظالمة بخصوص طبيعة المرأة، بل أنه يقحم الشريعة لكي يضفي على أفكاره الصواب حيث يقول: ((وما قدر دهاء النساء مثل الشريعة الإسلامية، حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل، فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم إبداء الزينة للرجال الأجانب، وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم، وأمرت باستقرارهن في البيوت إلا لحاجة. ولا شك انه ما وراء هذه الحدود إلا فتح باب الفجور، وما هذا التحديد إلا مرحمة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة"[5]. وليس من الصحيح أن تكون الشريعة الإسلامية قد أذنت بوجوب ستر النساء وتقييد اختلاطهن مع الأغراب من واقع الدهاء في النساء، فذلك حكم غير عادل ولا يمكن للشريعة أن تقوم بإطلاقه. وقد أكد الله تعالى عدم اختلافهن عن الذكور بقوله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير﴾[6]. وبيَّن تعالى عدم التفريق بينهن وبين الرجال في الحساب فقال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾[7].

وحين بحث الكواكبي في أمر الزواج رأى أهمية رعاية الكفاءة بين الزوجين وضرورة الاهتمام بأصول النسب في مسألة الزواج فيقول: ((أن الشريعة الإسلامية أمرت برعاية الكفاءة في الزواج، وذلك أيضاً مرحمة بالرجال، وأكثر الأئمة المجتهدين قالوا بلزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل، وأوجبوا على أن يكون هو فقط كفؤ لها، لا تهلكه بفخارها وتحكمها، وضرورة تخير النسل لأن التساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الأخلاق، لان التزوج بمجهولات الأصول أو الأخلاق، أو بسافلات الطباع والعادات، أو بالغربيات جنساً، أو الرقيقات، مفاسد شتى، في الوقت الذي ينجر طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته))[8]. وعَدَّ الكواكبي عدم مراعاة الكفاءة في المرأة السبب في انحلال أخلاق الأمراء المسلمين، قال: ((وربما كان اكبر مسبب لانحلال أخلاق الأمراء من المسلمين أتاهم من جهة الأمهات والزوجات السافلات، إذ كيف يرجى

(*) ضاز في الحكم وضازه حقه نقصه ونجسه، وقسمة ضيزى اي جائرة. ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان- طرابلس، بلا، ص 329.

(1) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 232.

(2) سورة النساء: من الآية 34.

(3) سورة البقرة: من الآية 228.

(4) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 232.

(5) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 179 – 180.

(6) سورة الحجرات: من الآية 13.

(7) سورة النساء: الآية 124.

(8) سالم، أحمد محمد: المرأة في الفكر العربي الحديث، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2012م، ص 258.

من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة أن تترك بعلها، وهو في الغالب أطوع لها من خلخالها، أن يجيب داعي شهامة أو مروءة. أو ان تغرس في رؤوس صبيتها أميالاً سامية، أو تحمسهم على أعمال خطرة، كلا لن تفعل ذلك أبداً. إنما تفعله الشريفات اللاتي تجدن في أنفسهن عزة وشهامة))[1]. وفي الوقت الذي نتفق فيه مع الكواكبي بضرورة أخذ مسألة الكفاءة للرجل، إلا أن في خطابه تشدداً، وجمع بين فئات من النساء يصعب الجمع بينهن، وهن السافلات الطباع والعادات، الغريبات جنساً أو الرقيقات معدّاً الزواج منهن جميعهن مفاسد شتى وفي هذا بحسب رأي الباحث ابتعاد عن الصواب. في الواقع كان الاهتمام بتعليم المرأة يؤلف ركناً رئيساً من أركان إصلاح المجتمع في نظر الكواكبي الذي ربط تطوره وتقدمه بتقدمها في ميدان التعليم، وقد أدرك الكواكبي أن شيوع الجهل وانتشاره بين النساء هو الذي يقف وراء مثل ذلك الانحلال، الذي أصاب أخلاق الأمة وفي هذا يقول: ((أن لانحلال أخلاقنا سبباً مهما أخر أيضاً يتعلق بالنساء، وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه أسلافنا))[2].

ويرى الكواكبي ضرورة تعليم المرأة، وأن عدم تعليمها سببٌ من أسباب انحلال الأخلاق المتفشي في المجتمع، وأن الأمثلة التي يسوقها دليل قاطع وحجة دامغة للذين يزعمون أن جهل النساء أحفظ لعفتهن، مثل عائشة (رض) وكثير من الصحابيات والتابعيات، راويات الحديث، والشاعرات، اللواتي اشتهرن بالمعارف والأدب. ويرفض الرأي القائل بأن العلم يدعو المرأة للفجور، والجهل للعفة فيقول الكواكبي: ((نعم، ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة، ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة))[3]. وأن ترك المرأة من دون تعليم بدعوى أن تعليمها يؤدي إلى الفجور، دعوى باطلة، وبطريقة غير مباشرة يرد الكواكبي على أولئك الرافضين لتعليم المرأة، فيبين أن التعليم يزيدها وعياً وإحساساً بالكرامة، على نقيض المرأة الجاهلة التي لا تستطيع أن تفكر بأبعاد تصرفاتها، وهذا هو واقع المرأة الجاهلة وسلبياتها على نفسها وأسرتها. ويمضي الكواكبي إلى حد ما إلى ما هو أعمق، وهو مضار أمومة المرأة الجاهلة. ومغبة ذلك على الأبناء الذين تقوم بتربيتهم وتنشئتهم، فيكشف لنا عن ضررهن، المسوق إلى الأزواج فضلاً عن الأبناء ((ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في أخلاق البنين والبنات أمر واضح غني عن البيان، فإن سوء تأثيره على أخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث، فأقول: أن الرجال ميالون بالطبع إلى زوجاتهم، والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان التجاذب للأخلاق. ولا يتوهم عكس ذلك إلا من استحكم فيه تغدير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لإرادته، حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت))[4].

ويواصل الكواكبي تنظيراته بصورة فردية لا يسندها أساس علمي موضوعي، حين يرى أن القيادة هي بيد المرأة وقد تكون مستمدة من الثقافة الشعبية في بعض مقولاتها الشائعة، التي تصور المرأة كائناً مراوغاً ومحتالاً ومسكوناً بالدهاء، وهذا ما يختلف الباحث به مع الكواكبي. وينظر الكواكبي نظرة سلبية إلى طبيعة المرأة فيرى أنها تميل إلى الانحراف بطبعها، ولهذا فإن احتجاب المرأة سابق على الإسلام فيقول: ((والصينيون هم أقدم البشر في المدينة التزموا تصفير رجل البنات بالضغط عليها لأجل أن يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة، ذاك الذي هو أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات))[5]. وتعكس بعض أقوال الكواكبي نظرة سلبية إلى المرأة بصورة عامة، ويبدو أنه مؤيد لعمل المرأة، ومشاطرتها الرجل أعباء الحياة، ليس لدواع تتعلق بتحرير المرأة، ولكن بأسباب تتعلق بإنصاف الرجل، لكن الكواكبي لا يوضح دور الرجل والمجتمع في تحويل النساء إلى النصف المضر، ولا يشرح الأسباب الاجتماعية التي أدت إلى ذلك، ويكتفي بتحميل النساء مسؤولية هذا القانون في أقسام أعباء الحياة، والغريب أنه يعيب على

(1) الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ص 181.
(2) المحافظة، علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798م – 1914م)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 186 – 187.
(3) ياسين، بوعلي: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1998م، ص31–32.
(4) الساعدي، محمد جاسم: عبد الرحمن الكواكبي، ط1، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران، 2008 م، ص131.
(5) سالم، أحمد محمد: المرأة في الفكر العربي الحديث، ص 94.

المدينة الغربية التي تمتعت فيها المرأة بدرجة أعلى في المشاركة في الحياة العامة وفي هذا يقول: ((وما اصدق بالمدينة الحاضرة في أوربا تسمى المدينة لان الرجال فيها صاروا أنعاماً للنساء))[1].

والكواكبي في الوقت نفسه وعى حق المرأة في التعليم وعَدّه مسألة ضرورية لإحراز التقدم في المجتمع، والكواكبي لم يسافر إلى أوربا ولم يعاين المرأة عن قرب، فيعرف موقعها في المجتمع، ولو سافر لغيِّر نظرته إلى المرأة كما فعل الطهطاوي.

خاتمة

1) أنفرد الكواكبي من بين مفكري النهضة والإصلاح بتأكيده مخاطر الاستبداد، وعدّه أصل كل داء وبلاء يصيب الأمة، لذلك دعا إلى فصل السلطات في داخل جهاز الدولة لتجنب أن تتحول السلطات إذا اجتمعت بيد فرد، مصدر استبداد، كذلك تحدث عن الحرية التي هي أعز شيء عند الفرد بعد حياته، وأعلى قيمة، والموت خير للمستعبد من حياة الذل، وأكد ضرورة مراقبة الشعب لعمل حكومته ومحاسبتها إذا خرجت عن المسار الذي حددها القانون لها.
2) أن للاستبداد بيئته مثلى هو الجهل، وعدوة الشورى الحرية، لذلك طالب بالحكومة الدستورية التي تحكم الشعب بقانون، وهو المرجع للحاكم ورعيته، وأهتم الكواكبي بفكرة العروبة، وعنده العرب أسمى الأمم، ومن حقهم قيادة الأمة الإسلامية.
3) طالب المسلمين بنبذ الخرافات والبدع، والرجوع بالدين الى ينابيعه الأولى، ويرى أن تعقيد الدين يردّ إلى العلماء المدلسين، الذين أولّوا الآيات القرآنية بما يخدم مصالحهم، ولا يتفق مع مبادئ القرآن الكريم السامية، ومن جهود الكواكبي المتفانية محاولته في التوفيق بين العلم والدين، في فترات ظهرت دعوات تحاول التشكيك في مضامين القرآن حول الكشوف العلمية، التي ترى بأن الإسلام لا يلائم العصر الحديث، فأثبت الكواكبي بأن الإسلام يدعو للعلم والمعرفة، وان كل ما كشف عنه العلم الحديث له جذور بالقرآن الكريم.
4) عدّ الكواكبي تعليم المرأة ركناً رئيساً من أركان إصلاح المجتمع وربط تقدمه بتعليمها، ورفض الرأي القائل بأن العلم يدعو المرأة إلى الفجور، وأكد مسألة مهمة في المجتمع، هي مراعاة الكفاءة بين الزوجين.
5) أن التربية التي كان يؤمن بها الكواكبي هي التربية المنشدة إلى تعاليم الدين الإسلامي والسنة النبوية وسنة آل البيت سلام الله عليهم أجمعين، والصحابة رضي الله عنهم، وهدفها سعادة الناس ورقيه، وآمن بديمقراطية التعليم، الذي هو حق مكفول لجميع أبنائه، زيادة على دعواته بأن تشرف الدولة على التعليم وعلى ألزاميته، وقسم التربية بحسب المراحل العمرية، وأكد حرية الطفل، والإرشاد التربوي، وبَيَّن أهمية المحيط على المتعلم.
6) دعا إلى أفضلية الثواب على العقاب، ومن أهداف الكواكبي في التربية إيجاد طرائق جديدة في تعليم اللغة العربية لكي تكون سهلة وسلسة على المتعلمين، واعتماد أسلوب الحوار والمناقشة، وحث الشباب على عدم الانبهار بالغرب وتقليدهم.
7) آمن الكواكبي إيماناً لا حدود له بقيمة العلم ودوره في تطور وتقدم الأمم.
8) وضح الكواكبي آن الحاكم المستبد يخشى العلم لآن العلم نور وانه يريد آن تعيش الرعية في الظلام والجهل فيستطيع بسط نفوذه، والعلم ينير الدروب ويعلم الإنسان طريق الحرية.
9) بين الكواكبي العلوم التي يخشاها المستبد وهي الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية وحقوق الإنسان، والسياسة المدنية، والتاريخ المفصل والخطابة ألأدبية، هذه العلوم تكبر النفوس وتوسع العقول وتعرف الناس كيف يدافعون عن حقوقهم.

(1) الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ص 232.

المصادر

1. أمام، عبد الفتاح أمام: الطاغية دراسة فلسفية لصور الاستبداد السياسي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1994م.
2. أمين، احمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب، بيروت، بلا.
3. أمين، نضر علي: عبد الرحمن الكواكبي، دراسة سياسية – فكرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1996م.
4. برج، عبد الرحمن: مصر والحركة العربية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
5. برح، محمد عبد الرحمن: عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بلا.
6. بن قينة، عمر: الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2000م.
7. تابييرو، نوربير: الكواكبي المفكر الثائر، ترجمة علي سلامة، منشورات دار الآداب، بيروت، بلا.
8. الجابري، صلاح: حفريات في الاستبداد دراسة تحليلية نقدية، ط1، العارف للمطبوعات، بيروت، 2010م.
9. الجابري، علي حسين: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م.
10. جدعان، محمود فهمي: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1988م.
11. الجندي، أنور: يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1971م.
12. الحلبي، محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط 2، دار القلم العربي، دمشق، 1988م.
13. حمود، ماجدة: عبد الرحمن الكواكبي فارس النهضة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
14. الخليلي، احمد بن عدي: الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2013م.
15. خوري، رئيف: العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، ط3، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993م.
16. الدهان، سامي: عبد الرحمن الكواكبي، دار المعارف، مصر، بلا.
17. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان– طرابلس، بلا.
18. الساعدي، محمد جاسم: عبد الرحمن الكواكبي، ط1، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران، 2008م.
19. سالم، أحمد محمد: المرأة في الفكر العربي الحديث، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2012م. المحافظة، علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798م–1914م)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.
20. السحمراني، اسعد: الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي، دار النفائس، بيروت، 1984م.
21. الشيباني، عمر محمد التومي، تطور النظريات والأفكار التربوية، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.
22. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، ط1، منشورات ذوي القربى، سليمان نزاده، قم، 1385هـ.
23. طحان، محمد جمال: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1992م.
24. العقاد، عباس محمود: عبد الرحمن الكواكبي الرحالة (ك)، ط1، منشورات المكتبة العصرية، 1983م.
25. عمارة، محمد: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، ط2، دار الشروق، بيروت، 1998م.
26. عمارة، محمد: مسلمون ثوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
27. عمارة، محمد، الأمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988م.
28. قلعجي، قدري: عبد الرحمن الكواكبي، ط1، دار الشرق الجديد، بيروت، 1963م.
29. كاظم، عادل عبد الهادي: النزعة التوفيقية في الفكر العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2004م.

30. كتوره، جورج: طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد، دراسة تحليلية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م.
31. كريم، طالب محمد: جدل الاستقلال الفلسفي في الفكر العربي المعاصر، ط1، مكتبة عدنان، بغداد، 2011م.
32. الكواكبي، عبد الرحمن: الأعمال الكاملة، ط1، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 2007م.
33. الكواكبي، عبد الرحمن: الرحالة كاف طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط2، دراسة وتحقيق محمد جمال طحان، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2007م.
34. الكواكبي، عبد الرحمن: أم القرى، ط 2، دار الرائد العربي، بيروت، 1982م.
35. الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط 2، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 2009م.
36. الكواكبي، سعد زغلول، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.
37. المسعودي، حمادي: البعد الاجتماعي في تفكير الكواكبي النهضوي ومجلة آداب القيروان، ألفا للنشر، تونس، 1997م.
38. معلوف، لويس: المنجد في اللغة، ط 35، انتشارات إسلام، طهران، 1965م.
39. ياسين، بوعلي: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، ط1، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1998م.